

فإذا لم يقنعك هذا الشاهد وقلت شتان بين صور السياب في إطار فكره ومنهجه الجديد ، وبين صور القدماء على بساطتها ، ووضوح دلالتها وعفويتها ، بدا الأمر أكثر إقناعاً من خلال شاهد عشوائي آخر كتبه « أمل دنقل » ، وهو في فراش مرضه على طريقة المتبني ، يوم أن كان في فراش مرضه أيضاً في مصر ، وكأن الشاعر قد بحث في خزانة فكره ورواسب لا شعوره فوجد أبا الطيب ماثلاً أمامه وقد أصابته الحمى فأقعده في فراشه الذي كان جنبه يمل لقاءه في كل عام - على حد تصويره - وراح يحكى تجربته المريرة معها ، ومرأوغته لها ، وصراعه المستمر للنجاة منها ، ولكن دون جدوي ، فإذا هي تأتيه قهراً لأنها تراقبه علي حد معالجته للموقف « مراقبة المشوق المستهام » و في حين أنه يراقب وقتها « من غير شوق » ، حيث يبدو منها خائفاً فزعا حتى يطلع علينا منها بحكمة جديدة حول منطق الصدق في مثل تلك الملابس التي يعيشها :

ويصدق وقتها الصدق شـــــــر إذا ألقاك في الكرب العظام

إذ ربما جمعت تجربة المرض بين حس الشاعرين ، وربما وجد أمل في موقف المتبني مدعاة لتصوير صراعه هو الآخر إزاء مرضه ، أو صراع النفس وانقسامها بين ماضٍ تمنى أن يعود ، وبين حاضرٍ تمنى انقضاءه وانقشاع غشاوته ، فهنا يبدو تأثير أمل بالمتبني - علي الأرجح - وكأنما أفاد من تجربته في مثل هذا الموقف ، خاصة إذا تنازلنا عن مسألة الشكل إلى ما وراءها من دلالات وأبعاد وملامح تبررها إنسانية التجربة وعمومها وخصوصيتها على مستوى الشاعر الفرد في آن واحد .

لقد دأب أبو الطيب على البحث عن معادله الموضوعي فلم يجده إلا في صورة ذلك الجواد العربي الأصيل ، وهو هنا يتلمس من خلاله جانباً من أصالته أيضاً ، وكذلك عرويته ، فهو اختيار عنصرى في صور مبدئية يعقبها توحده معه على الصعيد النفسى ، كما توحد معه غيره من شعراء العربية يوم أن كان الجواد والناقة جزءاً يصعب إسقاطه من وجدان العربي ، وجانباً أساسياً من حبه في عمق الصحراء المرؤعة وهو ما لم يكن لينفصم عنه يوماً ما ، ألم يكونا وسيلته إلى النجاة من أهوالها ، والرحلة عبر مشاقها ، والفوز بقطعها حتى تصبح فعلاً مفازة ؟